

شعر الأفوه الأودي - مقارنة فنية

Al-Afwah Al-Awdi Poetry - An Artistic Approach

د. عثمان محمد عثمان الحاج كنه

Dr. Osman Mohammed Osman Elhaj Kunna

جامعة الملك فيصل بالأحساء- المملكة العربية السعودية

osmankunna@yahoo.com

King Faisal University in Al-Ahsa - Kingdom of Saudi Arabia

osmankunna@yahoo.comosmankunna@yahoo.com الإيميل:

المؤلف المرسل: د. عثمان محمد عثمان الحاج كنه

osmankunna@yahoo.com

Osman Mohammed Osman Elhaj Kunna

ملخص:

يهدف البحث إلى دراسة شعر الأفوه الأودي دراسة فنية، لتسليط الضوء على تجربته الشعرية واستنباط إمكاناته الجمالية وطاقاته الإبداعية، وقد قسمته بحثي إلى مقدمة وأربعة محاور جاءت على النحو الآتي: المحور الأول: عصر ومكانة الأفوه الأودي وشعره. المحور الثاني: الأغراض الشعرية السائدة في شعر الأفوه الأودي. المحور الثالث: الخصائص الفنية والتصويرية في شعر الأفوه الأودي. المحور الرابع: الخصائص اللغوية في شعر الأفوه الأودي. وتوصل البحث إلى: أن الأفوه الأودي من الشعراء البارزين في عصره، تناول موضوعات عديدة في شعره. وأن الجوانب الفنية لشعره مليئة بفنون مختلفة وحينما نركز في شعره تظهر ذاتية الشاعر التي تدور حول الاعتزاز بالنفس والافتخار، وكما نجد عنده التغني بالبطولة والاعتزاز بالقبيلة وتصوير مظاهرها وبيان عظمتها وعظمة فرسانها. كما يتسم التصوير عنده بأنه مأخوذ في أصله من ملاحظته المباشرة لمجريات الحياة. وقد تنوعت الجمل وتعددت أنماطها في شعر الأفوه الأودي، وقد تضمنت الجمل البسيطة، والجمل المركبة، والجمل التركيبية. وأن الجمل المركبة والجمل التركيبية هي الأكثر شيوعاً، على حين تجيء الجمل البسيطة في المرتبة الأخيرة بين الجمل السالفة في شعر الأفوه.

كلمات مفتاحية: الأفوه، السائدة، التصوير، الجمالي، التركيب.

Abstract:

The paper aims to Artistically study the poetry of Al-Afwah Al-Awdi, to shed a light on his poetic experience and discover its aesthetic abilities. The paper has been divide into an introduction and four sections as following: Firstly, the era of the poets and his social position. Secondly, Al-Awdi predominant poetic subjects. Thirdly, the artistic characteristics in Al-Awdi poetry. Fourthly, the linguistic features in his poetry. The research concluded that: Al-Afwah Al-Awdi is one of the prominent poets in his time. He addressed many topics in his poetry. His technical aspects are full of different arts. When we focus on his poetry, the poet's personality appears, which revolves the pride and self-esteem. His poetry images are also characterized by being taken from his direct observation of life. The sentences varied and their patterns varied in the poetry of Al-Afwah Al-Awdi, and it included the simple sentences, the compound sentences, and the syntactic sentences. However, the compound sentences and the syntactic sentences are the most common, while the simple sentences come in the last rank.

Keywords: Al_Afwah, Predominant, Imagination, Aesthetic, Construction.

مقدمة:

الأفوه شاعر، يعد من أشهر حكماء العرب، ومن ساداتهم وفرسانها في الجاهلية، كان من أهل سرو مذحج، وانتهت إليه إمرة مذحج كلها، فقالوا في اسمه ونسبه⁽¹⁾: هو صلاة بن مرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف منبه بن أود بن صعب بن سعد العشيرة، من مذحج. ويكني أبا ربيعة، واختلف في تاريخ وفاته ويقال كانت سنة (570) بينما رجح بعضهم سنة (560م).

والصلاة والصلاية: مدق الطيب، وكل حجر عريض يدق عليه عطر. وقال الفراء: تجمع الصلاة صليا وصليا. وقال سيبويه إنما همزت، ولم يك حرف العلة فيها طرفا؛ لأنهم جاؤوا بالواحد على قولهم في الجمع: "صلاة" (مهموزة) كما قالوا: مسنية ومرضية حين جاءت على مسنى ومرضي. وأما من قال "صلاية" فإنه لم يجئ بالواحد على صلاء.

ومذحج: اسمه مالم بن أدد بن زيد من كهلان، وهو جد يمانى قديم من القحطانية. وقد لقب بالأفوه⁽²⁾؛ لأنه كان غليظ الشفتين، ظاهر الأسنان. والفوه: سعة الفم وعظمه. والفوه: خروج الأسنان كلها من الشفتين وطولها. أما بالنسبة إلى الحديث عن أبيه وأمه، فلم تذكر المصادر شيئاً عن أمه. أما أبوه فهو "عمور بن مالك" وكان يقال له "فارس الشوهاء" أو "فارس الشبهاء" والشوهاء: اسم فرسه. حيث يقول الأفوه في ذلك من الطويل:

أَبِي فَارِسُ الشَّوْهَاءِ⁽³⁾ غَدَاةَ الْوُغِي، إِذْ مَالَ بِالْجِدِّ عَائِرُ⁽⁴⁾
عُمُرُو بْنُ مَالِكُ

وقد ورد البيت في ديوانه على نفس الوزن بـ:

أَبِي فَارِسُ الصَّرْمَاءِ⁽⁵⁾ عُمُرُو بْنُ مَالِكُ غَدَاةَ الْوُغِي، إِذْ مَالَ بِالْجِدِّ عَائِرُ
غَدَاةَ أَقَامَ النَّاسُ فِي حَجَرَتِهِمْ ضِرَابًا كَمَا زِيدَ الْخِمَاسُ الْبَوَاكِرُ⁽⁶⁾

حيث يفتخر الشاعر بأبيه عمرو فيصفه بالفروسية وتفوقه في المعارك حين يركب فرسه الصرماء ويخوض الحرب وينتصر، في الوقت الذي يخسر فيه قليل الحظ. ويهدف البحث إلى تسليط الضوء على تجربته الشعرية لاستنباط إمكاناته الجمالية وطاقاته الإبداعية.

وقد قسمت بحثي إلى مقدمة وأربعة محاور جاءت على النحو الآتي:

المحور الأول: عصر ومكانة الأفوه الأودي وشعره.

المحور الثاني: الأغراض الشعرية السائدة في شعر الأفوه الأودي.

المحور الثالث: الخصائص الفنية والتصويرية في شعر الأفوه الأودي.

المحور الرابع: الخصائص اللغوية في شعر الأفوه الأودي..

ثم خاتمة البحث التي أودعت فيها ما توصلت من نتائج، ثم أرفقت بها المراجع التي أفادت منها الدراسة.

وحتى تكون هذه الخطة ناجحة كان من الضروري اختيار المنهج المناسب لها، فاتبعت المنهج الفني للكشف عن جماليات النصوص الشعرية مع الاستعانة بالمنهج

اسم المؤلف: د. عثمان محمد عثمان الحاج كنه عنوان المقال: شعر الأفوه الأودي - مقارنة فنية
التاريخي، وكذلك الوصفي التحليلي بصفته منهجا نستطيع به فك الكثير من الرموز
والكلمات في النص الشعري.

ولقد اعتمدت هذه الدراسة على النص الشعري، وعلى طاقة اللغة الشعرية
وإمكانياتها الفنية والجمالية والإبداعية، ولا تزعم لنفسها القدرة على استنفاد القضايا أو
الظواهر التي تتعلق بلغة الشعر عند الشاعر الأفوه الأودي ولكنها تأمل أن تكون مدخلا
نقديا لدراسة أكثر تفصيلا وأعمق تناولاً، وأرحب سعة.

وتجدر الإشارة إلى أن البحث لم يعثر على دراسة في هذا السياق تتطرق إلى شعر
الأفوه، وهو ما عد دافعا جوهرياً للدراسة من جهة، ودافعاً لمحاولة تقديمه إلى الباحثين
من جهة ثانية حتى تنطلق دراسات لاحقة لاستكمال ما بدأه.

المحور الأول: عصر ومكانة الأفوه الأودي وشعره

1- عصر الشاعر: يعد الأفوه الأودي من أقدم شعراء العرب، حتى لقد قيل عنه إنه
ممن عاصر المسيح -عليه السلام-، وهذا القول غير صحيح، وفيه تجاوز ومبالغة.
ولكن المؤرخون يجعلونه من كبار شعراء الجاهلية، فقد جاء في كتب التراث، كالزهر
للسيوطي، والعمدة لابن رشيقي، أن الأفوه أقدم من امرئ القيس، وعمر بن قميئة،
والمهلهل، وعبيد بن الأبرص، والمرقش الأكبر، وأنه أول من قصد القصائد، إلا أنه لم
يكن ليفرض نفسه على رأس مذهب أو مدرسة شعرية، أو أن يكون له نفسه الخاص
وأسلوبه المتميز⁽⁷⁾.

وبالرغم من إجماع المؤرخين على أنه شاعر جاهلي قديم، ما عدا بلاشير فقد أرجع
عصره إلى بداية القرن الثالث للهجرة - التاسع للميلاد⁽⁸⁾، فإن هناك اختلافاً كبيراً حول
العصر الذي عاش فيه، وتاريخ وفاته.

فزعم بعضهم أنه أول الشعراء، وأنه أقدم من المهلهل، قال السيوطي، وقال عمر
بن شبة في طبقات الشعراء... وزعم بعضهم أن الأفوه الأودي أقدم من هؤلاء، وأنه أول
من قصّد القصيد⁽⁹⁾. وبالغ بعضهم حتى أوصله إلى زمان السيد المسيح⁽¹⁰⁾.

ويرى لويس شيخو أنه توفي نحو سنة (570م)⁽¹¹⁾، أي حوالي نصف قرن قبل الهجرة، ووافق خير الدين الزركلي لويس شيخو في تأريخ وفاة الأفوه في بادئ الأمر ثم عاد وارتاب في هذا التأريخ قائلاً: «ولعله كان قبل ذلك بزمان»⁽¹²⁾.
ومهما يكن، فإنه شاعر قديم ومن أقدم الشعراء، وأغلب النقاد يجعلونه في الطبقة الأولى، وقيل إنه كان من المعمرين.

2- مكانة الشاعر⁽¹³⁾: للأفوه الأودي مكانة كبيرة فقد أثنى النقاد والمؤرخون على مكانته الشعرية والقبلية كثيراً، وعدوه من فرسان العرب المشهورين قوة وشمائل، ورأوا تقديمه على غيره من الشعراء في كلمات وأوصاف لم يسبق إليها، ودلت على إعجابهم بشاعريته. فقد ذكر أبو الفرج في الأغاني أن الأفوه كان من مشاهير الشعراء في العصر الجاهلي، وكان أكثر شعره في الحماسة والحكمة والفروسية، وهو معدود في الشعراء الحكماء، وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم، وكانوا لا يصدرون عن رأيه، والعرب تعدّه من حكمائها.

وتعد داليتة المشهورة من حكم العرب وآدابها، حيث يقول فيها من البسيط⁽¹⁴⁾:
أَمَارَةُ الْغَيِّ أَنْ تَلْقَى الْجَمِيعَ لَدِي الْإِبْرَامِ لِلْأَمْرِ وَالْأَذْنَابِ أَكْتَادُ
كَيْفَ الرَّشَادُ إِذَا مَا كُنْتَ فِي نَفَرٍ لَهُمْ عَنِ الرُّشْدِ أَغْلَالٌ وَأَقْيَادُ؟

3- شعر الأفوه: يتسم شعر الأفوه بالصعوبة في مفرداته وتراكيبه، فقد حفل شعره بالمفردات التي زادت من غني معاجم اللغة، ولا عجب أن نرى اللغويين يكثرّون من الاستشهاد بشعره لشرح بعض الألفاظ وذلك إعجاباً بلغته وتقديرًا لها، فقد استشهد ابن منظور بشعر الأفوه بأكثر من أربعين بيتاً، وقد اعتمد "ياقوت" شعره في الاستشهاد؛ لأن الأفوه كان أكثر شعراء الجنوب ذكراً للجبال والوديان والمواضع.
وشعر الأفوه يدور حول موضوعات كثيرة، منها الفخر، والحكمة، والحماسة، والصدقة، والثراء، والعتاب، والحسرة والألم، والنجدة، لكن أكثر شعره ينحصر -بشكل كبير- في الفخر والحماسة والحكمة.

اسم المؤلف: د. عثمان محمد عثمان الحاج كنه عنوان المقال: شعر الأفوه الأودي - مقارنة فنية
وشعر الأفوه مؤلف من ثمانية ومئتي بيت في ثلاثين مقطوعة، نسجت على بحور
شعرية مختلفة هي: الكامل، والطويل، والوافر، والبسيط، والرمل، والسريع.
المحور الثاني: الأغراض الشعرية السائدة للأفوه الأودي:

إن الأفوه الأودي من الشعراء البارزين في عصره، وقد تناول موضوعات عديدة في
شعره، إذ طرق عدة مضامين في شعره، في مقدمتها الفخر والحكمة والوصف والشكوى،
بل لصقت الحكمة والفروسية باسمه، فإذا ذكرت الحكمة يأتي اسمه مع ذكرها، وكانت
العرب تسمي هذه القصائد عيونَ الشعر العربي؛ لأنها شملت -من حيث المبنى والمعنى-
مالم تشمله قصائد أخرى، ولعل أجمل هذه القصائد وأخلدها تلك التي تتحدث عن
الفروسية والحكمة. حيث كانت الظروف الصعبة، وأولها الحروب، هي التي تفرض على
الشعراء قول شعر الفروسية أو الحكمة. جاء في الأغاني⁽¹⁵⁾: روى الكلبي عن أبيه قال: (كان
الأفوه من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم وكانوا
يصدرون عن رأيه والعرب تعدّه من حكمائها. وتعد داليتّه من حكمة العرب وآدابها)، وفيها
يقول (من البسيط):

فِينَا مَعَاشِرُ لَمْ يَبْنُوا لِقَوْمِهِمْ وَإِنْ بَنَى قَوْمُهُمْ مَا أَفْسَدُوا عَادُوا
لَا يَرشُدُونَ وَلَنْ يَرعُوا لِمُرشِدِهِمْ فَالْغِيْ مِنْهُمْ مَعَا وَالْجَهْلُ مِيعَادُ⁽¹⁶⁾

يشكو الشاعر من وجود طائفةٍ من أبناء قبيلته لم يقدّموا في سبيل هذه القبيلة
فائدةً أبداً ولم يبنوا لها ويؤسسوا في دعائهم كما هو مطلوب من أبناء القبيلة بل للأسف
هم من الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون. حتى إذا ما أصلح باقي قومهم ما كانوا قد
أفسدوه نراهم يعودون إلى غيهم وإفسادهم، هذه الثلة من القبيلة لا تتبع سبل الرشاد ولا
يسمعون لأهل الرشاد من أبناء قومهم أبداً. بل يتصرفون بما يروق لهم وبما تمليه عليهم
غوايتهم وجهلهم، فالغي والجهل صنوان متلازمان لدى هذه الفئة من الناس لا يحددون
عنهما أبداً.

فقد أثنى النقاد والمؤرخون على مكانة الأفوه القبلية كثيراً.

والملاحظة أن فخر الأفوه متعدد الصفات والجوانب، وهي تهدف كلها إلى إبراز شخصية، وإظهار تعلقه بقبيلته عليها تبادلها حبًا. وهو معدود من فرسان العرب المشهورين قوّة وشمائل، حيث يقول مفتخرا بنفسه وبقومه من الكامل:

وَبِرَوْضَةِ السُّلَانِ مَنَا مَشْهَدٌ وَالْخَيْلُ شَاحِيَةٌ وَقَدْ عَظُمَ الثُّبَى
تَحْمَى الْجَمَاجِمَ وَالْأَكْفَ سَيُوفُنَا وَرِمَاحُنَا بِالطَّعْنِ نَنْتَظِمُ الْكُلَى
فِي مَوْقِفِ ذَرْبِ الشَّابَا وَكَأَنَّمَا فِيهِ الرِّجَالُ عَلَى الْأَطَائِمِ وَاللَّطَى⁽¹⁷⁾

حيث سيوفهم المشهورة تحميمهم وتدفع عن رؤوسهم وأيديهم الضرب والقطع، أما رماحهم فكانت تضرب بالصميم فتصيب أحشاء العدو، وأغلب شعر مفاخره في بطولته وبطولة قومه في حروب حققوا فيها انتصارات ساحقة، فقد أثنى النقاد والمؤرخون على مكانة الأفوه القبلية كثيرًا، حيث كان سيدًا مطاعًا في قومه، وقائدًا لهم في كثير من الحروب، لاسيما قتالهم لبني عامر، حيث يقول حينما أدرك ثأره منهم. فأعطاهم ديات من قتل فضلًا على قتلى قومه، فقبلوا وصالحوه من الطويل:

سَقَى دِمْنَتَيْنِ لَمْ نَجِدْ لَهُمَا أَهْلًا بِحَقْلٍ لَكُمْ، يَاعَزْ، قَدْ رَابِي حَقْلًا
نُقَاتِلُ أَقْوَامًا فَنَسِي نِسَاءَهُمْ وَلَمْ يَرْ دُو عِزٍّ لِنَسَوْتِنَا حِجْلًا⁽¹⁸⁾

يفتخر هنا بأمرين؛ الأول أن قومه يغيرون على ديرة العرب فيسبون نساءهم، والثاني أن أقوى القبائل لم تحظ برؤية خلايل نساءهم، أي لم تؤسر. ويفتخر الشاعر مخاطبًا من يريد السير على خطاهم ويقول إنا لا نقبل أن يجارينا أحد، ولسنا من الذين يجروا أحد على السير بخطانا، ويقول من الرمل:

أَيُّهَا السَّاعِي عَلَى آثَارِنَا نَحْنُ مَنْ لَسْتُ بِسَعَاءٍ مَعَهُ
نَحْنُ أَوْدٌ حِينَ تَصْطَلُّ الْقَنَا وَالْعَوَالِي لِلْعَوَالِي مُشْرَعَةٌ⁽¹⁹⁾

إذ يتابع مستعرضًا بطولة قومه بأنهم أهل شجاعة حين تتضارب الرماح وترفع العوالي استعدادًا لخوض الحرب.

ومن فخره رائيته المشهورة التي قالها في انتصار قومه ومطلعها من الرمل:

إِنْ تَرَى رَأْسِي فِيهِ قَنْعٌ وَشَوَاتِي خَلَّةً فِيهَا دَوَارٌ⁽²⁰⁾

وهي طويلة، منها:

نَحْنُ أَوْدٌ، وَلَأَوْدِ سُنَّةٌ
سُنَّةٌ أَوْرَثَنَاها مَذْحِجٌ
شَرَفٌ لَيْسَ لَنَا عَنْهُ قَصَارٌ
قَبْلَ أَنْ يُنْسَبَ لِلنَّاسِ
نِزَارٌ⁽²¹⁾

ويقول:

مُلْكُنَا مُلْكٌ لَقَاحٌ أَوَّلٌ
وَلَقَدْ كُنْتُمْ حَدِيثًا زَمْعًا
نَحْنُ أَصْحَابُ شَبَابٍ يَوْمَ شَبَا
عَنْكُمْ فِي الْأَرْضِ! إِنَّا مَذْحِجٌ
وَأَبُونَا مِنْ بَنِي أَوْدٍ خِيَارٌ
وَذُنَابِي حَيْثُ يَحْتَلُّ الصَّغَارُ
بِصِفَاحِ الْبَيْضِ فِيهِنَّ إِظْفَارُ
وَرُودًا يَفْضَحُ اللَّيْلُ
النَّهَارُ⁽²²⁾

وحينما نعمن النظر في شعر الأفوه نجده يمتلك قدرة على وصف الأشياء، إذ يصف سحباً دانية من الأرض تصدر رعداً وصخباً وبرقاً لامعاً مشرقاً، وحينما أحست كلابهم بكثرة السحب المثقلة بالماء نبحتها حتى هطلت الأمطار ومن كثرتها سعدت الضفادع، إذ يقول من الطويل:

لَهُ هَيْدَبٌ ذَانٍ وَرَعْدٌ وَلَجَّةٌ
فَبَاتَتْ كَلَّابُ الْحَيِّ يَنْبَحْنَ مُزْنَهُ
وَبَرْقٌ تَرَاهُ سَاطِعًا يَتَبَلَّجُ
وَأَضْحَتْ بَنَاتُ الْمَاءِ فِيهَا تَمَعَّجُ⁽²³⁾

كما نجده يفتخر بقومه مستخدماً وصف الجراد، فيصفهم بشمائل نقية، ووجوه تشبه بإشراقها بنيرات لأمعة قبيل نهوض الشمس، ويقبلون على خدمة الناس وهم يحملون العتاد وأعدادهم كبيرة كالجراد المنتشر، وكأن أقدامهم هجوم قطع من بقر الوحش على الإناث من البقر الخنساء، إذ يقول من الكامل:

بِمَنَاقِبٍ بَيْضٍ كَأَنَّ وَجُوهَهَا
وَقُفُوا كَمُنْتَشِرِ الْجَرَادِ هَوَتْ
زُهْرٌ قُبَيْلَ تَرْجُلِ الشَّمْسِ
لِلْبَطْنِ فِي دَرَجٍ وَفِي تُرْسِ
وَكَاثَتْهَا آجَالُ عَادِيَّةٍ
حَطَّتْ إِلَى إِجْلِ مِنَ الْخُنْسِ⁽²⁴⁾

لقد استطاع الأفوه -من خلال ما سبق- أن يتعامل مع الأغراض الشعرية في نصوصه بشكل يعبر عما يريد قوله بدقة متناهية، وهو تعبير لا يخلو من اشتغال وتصوير فنيين.

المحور الثالث: الخصائص الفنية والتصويرية في شعر الأفوه الأودي:

نجد أن معظم الشعراء يستخدمون الفن التصويري في إلقاء الشعر، ومعنى ذلك أنهم يستمدون المادة التصويرية من الحوادث والواقعات، وعندما نمعن النظر في الفن التصويري لشعر الأفوه يمكن لنا تقسيمه إلى أقسام عديدة لكننا نجد ظاهرتين بارزتين: أولاهما: ظاهرة الاعتزاز بالنفس والتغني بالبطولة لذاتية، وتصوير المظاهر الفردية. وثانيتهما: الاعتزاز بالقبيلة وتصوير مظاهرها وبيان عظمتها وعظمة فرسانها. فعند استعراض الخصائص الفنية نجد شعر الأفوه مليئاً بفنون مختلفة وحينما نركز في شعره أكثر تظهر ذاتية الشاعر التي تدور حول الاعتزاز بالنفس والافتخار بها حيث يقول من الطويل:

وَإِنِّي لِأُعْطِيَ الْحَقَّ مَنْ لَوْ ظَلَمْتُهُ أَقَرَّ وَأَعْطَانِي الَّذِي أَنَا طَالِبُ
وَأَخْذُ حَقِّي مِنْ رَجَالٍ أَعَزَّةٍ وَإِنْ كَرُمْتَ أَعْرَاقَهُمْ وَالْمُنَاسِبُ⁽²⁵⁾

وكما نجد عنده التغني بالبطولة والاعتزاز بالقبيلة وتصوير مظاهرها وبيان عظمتها وعظمة فرسانها، حيث يقول من الطويل:

نَقُودُ وَنَأْبِي أَنْ نَقَادَ، وَلَا نَرَى لِقُومٍ عَلَيْنَا فِي مَكَارِمِهِمْ فَضْلاً
وَإِنَّا بِطَاءِ الْمَشْيِ عِنْدَ نَسَائِنَا كَمَا قَيَّدَتْ بِالصَّيْفِ نَجْدِيَّةٌ بُزْلاً
نَظْلُ غِيَارِي عِنْدَ كُلِّ سَتِيرَةٍ نُقَلِّبُ جِيدًا وَاضِحًا وَشَوَى عَبْلاً
أَلَا أَبْلَغَا عَنِّي بِزَيْدِ بْنِ عَامِرٍ بَأْنَا أَنْاسٌ لَا نُضِيعُ لَنَا دَحْلاً
وَإِنَّا لِنُعْطِي الْمَالَ دُونَ دَمَائِنَا وَنَأْبِي، فَمَا نَسْتَامُ دُونَ دَمِ عَقْلَا⁽²⁶⁾

ويفتخر الشاعر بقومه ليخبرنا أن قبيلته ذات أنفة قوية، فهم يقوون على غيرهم ويتحكمون فيهم، ولكن أحدا لم يجروا على غلبتنا أو إذلالنا، وليس لأحد علينا من القبائل فضل أو منة. كما أنه يتباهى بأن رجال قومه سريعون للقاء الأعداء.. إلخ.

اسم المؤلف: د. عثمان محمد عثمان الحاج كنه عنوان المقال: شعر الأفوه الأودي - مقارنة فنية

كما نجده يستخدم فن التصوير في بث الحركة في شعره، وذلك حينما مزج بين

غرضي الفخر والوصف في قوله من الكامل:

بمناقبٍ بيضٍ كأنَّ وجوهَها	زُهرٌ قبيلَ تَرَجُّلِ الشَّمسِ
رَفُوا كَمُنْتَشِرِ الجَرَادِ هَوَتْ	لِلْبَطْنِ فِي دَرْعٍ وَفِي تَرْسِ
وَكَاثَها آجالٌ عادِيَّةٌ	حَطَّتْ إلى إجلٍ مِنَ الخُنسِ ⁽²⁷⁾

فقد شبه قومه وهم يخدمون الناس، بأعداد كبيره، كالجراد المنتشر وهجوم قطع البقر الوحش على الإناث من البقر الخنساء، فيصفهم بأنهم بشمائل نقية صافية، ووجوههم تشبه بإشراقها بنيرات لامعة قبيل نهوض الشمس، يريد أن لمعانها لم يكن من أثر الشمس؛ لأنها تلمع قبل شروقها.

ويصف الشاعر حالة النزع والوفاء، وماذا كان العرب في زمانه يفعلون، وكيف يتألمون، ولعل هذا المشهد الإنساني من أصدق ما قاله شاعر، وأقدم ما عبر عنه ذو مشاعر إنسانية، وذلك في قوله من الطويل:

فنائحةٌ تبكي وللنَّوحِ دَرْسَهُ	وأمرُّها يَبْدُو، وأمرُّها يُسَرُّ
ومنهنَّ مَنْ قَدْ شَقَّقَ الخَمْشُ وجهَها	مُسَلِّبَةً قَدْ مَسَّ أحشاءَها العَبْرُ
فرمُّوا له أثوابَهُ وتفجَّعُوا	ورنَّ مرنَّاتٌ، وثارَ به النَّفَرُ
إلى حُفرةٍ يأوي إليها بسَغيهِ	فذلك بيتُ الحَقِّ لا الصَّوْفِ والشَّعَرُ
وهالوا عليه التُّرْبُ رطبًا ويابسًا	ألا كُلُّ شيءٍ ماسِوَى تلك
	يُجْتَبَرُ ⁽²⁸⁾

ونجد اشتراك المعنيين في لفظة واحدة بعينها، حيث نجد لفظ "الهوجل" في البيت اشترك في معنيين: المفازة البعيدة والناقة التي بها هوج من سرعتها. وذلك في قوله من السريع:

واقطع الهوجل مستأنسا	يهوجل عيرانية هنتريس ⁽²⁹⁾
----------------------	--------------------------------------

حيث يقول ومع وضعي هذا فإنني أجوب المفازات البعيدة، راكبا ناقة قوية صلبة نشطة.

ويتسم التصوير عنده بأنه مأخوذ في أصله من ملاحظته المباشرة لمجريات الحياة. فالتصوير عند الأفوه صفة أساسية يبنها في أعماله كلها. سواء هدفت من هذه الأعمال إلى التحدث من مجريات الحياة أم هدفت إلى إبراز القدرة على العمل الفني.

وقد ضم التصوير الماضي والحاضر في صوره وجسد مكانته ومكانة قومه بما فيها من مجد وعز وإباء. ومن هنا حدث توازن وتقارب عددي بين الأفعال الماضية والأفعال المضارعة، ويرجع ذلك إلى أن الشاعر يجمع بين الثبات والاستمرار، وبين الماضي بما فيه من ذكريات عظيمة تتعلق بالحسب، والنسب، والأصالة، والفخر بالآباء والأجداد قوة ومكانة وشجاعة ونصرًا، وبين الحاضر الذي يعد امتدادا طبيعيا للماضي العريق؛ إذ إن هذا الحاضر يسجل أيضًا واقعًا يموج بكل معاني الفخر والإعزاز.

المحور الرابع: الخصائص اللغوية في شعر الأفوه الأودي:

حفل شعره بالمفردات الصعبة، التي زادت من غنى معاجم اللغة، حيث نرى اللغويين يكثرّون من الاستشهاد بشعره لشرح بعض الألفاظ، كما أن مفرداته وعرة جدا، حيث يقول من البسيط:

كَالْأَسْوَدِ الْحَبَشِيِّ الْحَمَشِ يَتْبَعُهُ سُودٌ طَمَاطِمٌ فِي آذَانِهَا النُّطْفُ
هَابٍ هِبْلٌ مُدِلٌ يَعْمَلُ هَنْجٌ طَفْطَافُهُ ذُو عَفَاءٍ نَقْنَقُ جَنْفٌ⁽³⁰⁾

فلا شك أن ألفاظ هذين البيتين بحاجة إلى بيان وتفسير، حيث يقول إن شكل فرسه يشبه الحبشي الأسود الرفيع الساقين يلحق به رجال سود مثله قد حلوا آذانهم باللال، كما يصف فرسه بتسع صفات لا توجد إلا في خير الخيل الأصيلة، فهو جواد، بطى، عظيم، جرى، نشيط، خفيف وقع القوائم، لين الجلد، كالنعام الذي حاد عن طريقه. ويضاف إلى ذلك أن شعر الأفوه يتضمن ألفاظاً أهملتها معاجمنا منها: "غيطموس" و"علطميس"، في قوله من السريع:

مِنْ كُلِّ بَيْضَاءٍ كِنَانِيَّةٍ أَوْ عَاتِقٍ بَكْرِيَّةٍ غَيْطَمُوسٍ

اسم المؤلف: د. عثمان محمد عثمان الحاج كنه عنوان المقال: شعر الأفوه الأودي - مقارنة فنية

أَوْ حُرَّةَ جَرْدَاءَ مَلْبُونَةٍ أَوْ مُقَرَّمٍ فِي إِلَيْهِ عُلْطَمِيسُ⁽³¹⁾

فيقول من جملة أغنامنا النفيسة صبايا شريفات كنانيات، وأخر بكريات صغار السن، فالأسيرات من قبيلة كنانة وقبيلة بكر. ومن الخيل جرداء الشعر منعمة قوية، وإبل عزيزة عظيمة الشأن.

أما إذا قمنا بإجراء نظرة شاملة لصيغ الأفعال المستخدمة في شعر الأفوه الأودي نلاحظ، كثرة الأفعال الماضية وتنوعها وتعددتها، وشيوع الأفعال المضارعة وتنوع صورها، ومن المعروف أن الأفعال الماضية تدل على الثبات، على حين تدل الأفعال المضارعة على التجدد والاستمرار، ومن ثم فإن "الأفوه الأودي" لا يكثر من فعل الأمر في شعره. يضاف إلى ذلك كله أن أفعال الأمر قليلة الورد في شعره تصور لنا واقع القصائد في شعره، إذ إن الشاعر كان يستدعي ويتخيل أناساً وأصدقاء وأصحاباً يناجيهم ويناديهم ويأمرهم، وهم في الحقيقة ليسوا معه زماناً ومكاناً، لكنهم في خاطره وفي خياله، وهذا الأمر معروف ومشهور لدى الشعراء الجاهليين.

كما يمتاز شعر الأفوه الأودي بكثرة الجمل التركيبية وتعددتها، ومنها قول الأفوه:

وإذا الأمور تعاظمت وتشابهت	فهناك يعترفون أين المفزع؟
وإذا عجاج الموت ثاروهلهلت	فيه الجياد إلى الجياد تسرع
بالدار عين كأنها عصب	الأسراب تمعج في العجاج
القط	وتمزع
كنا فوارسها الذين إذا دعا	داعي الصباح به إليه نفزع

فقد ربطت أداة الشرط (إذا) بين التركيبين السابقين وكل منهما مرتبط بالآخر؛ لأن أحد التركيبين يعد شرطاً في حدوث الآخر، وجاءت (الفاء) واقعة في جواب الشرط لتؤكد هذا التلازم بين التركيبين، وقد اتسمت هذه الجملة بالطول اللافت للنظر، حيث تجسدت هذه الجملة في ثلاثة أبيات شعرية، وتلك ظاهرة ملحوظة في شعر الأفوه الأودي، ويكثر مجيؤها في القصائد الطويلة لارتباط أبياتها بموضوع محدد، أو بقضية معينة.

النتائج:

1. إن الأفوه الأودي من الشعراء البارزين في عصره، وقد تناول موضوعات عديدة في شعره، إذ طرق عدة مضامين وفي مقدمتها الفخر والحكمة والوصف والشكوى، بل لصقت الحكمة والفروسية باسمه.
2. الجوانب الفنية في شعر الأفوه مليئة بفنون مختلفة وحينما نركز في شعره تظهر ذاتية الشاعر التي تدور حول الاعتزاز بالنفس والافتخار، وكما نجد عنده التغني بالبطولة والاعتزاز بالقبيلة وتصوير مظاهرها وبيان عظمتها وعظمة فرسانها.
3. يتسم التصوير عنده بأنه مأخوذ في أصله من ملاحظته المباشرة لمجريات الحياة. فالتصوير عنده صفة أساسية يبتها في شعره كله.
4. حفل شعره بالمفردات الصعبة، التي زادت من غنى معاجم اللغة، اتسمت الجملة بالطول اللافت للنظر، وتلك ظاهرة ملحوظة في شعره، ويكثر مجيؤها في القصائد الطويلة لارتباط أبياتها بموضوع محدد، أو بقضية معينة.
5. كثرة الأفعال الماضية والمضارعة في شعر الأفوه الأودي وقلة أفعال الأمر وندرتها، والأمر راجع إلى ظاهرة الاختيار لدى الشاعر، وما يطرحه من قضايا وموضوعات ذات صلة وثيقة بماضي الشاعر وحاضره.
6. تنوعت الجمل وتعددت أنماطها في شعره، وقد تضمنت الجمل البسيطة، والجمل المركبة، والجمل التركيبية. وأن الجمل المركبة والجمل التركيبية هي الأكثر شيوعاً، على حين تجيء الجمل البسيطة في المرتبة الأخيرة بين الجمل السالفة في شعر الأفوه.

الهوامش:

- (¹) ينظر: محمد التونجي، ديوان الأفوه الأودي، ط1، 1998م، دارصادر للطباعة والنشر: بيروت، ص25-26، وينظر: عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 1984م، ص133، وينظر: يوسف أسعد، معجم الأسماء المستعارة وأصحابها، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1982م، ص119.
- ² ينظر: معجم ألقاب الشعراء، (حرف الهمزة)، سامي مكي العاني، ط1، 1982م، مكتبة الفلاح للطباعة والنشر والتوزيع، دبي: دولة الإمارات العربية المتحدة، ص29
- ³ الشوهاء- الفرس الطويلة الرائعة المشرفة
- ⁴ ديوان الأفوه الأودي: ص27.
- ⁵ الصرماء: الناقة أو الفرسة القليلة اللبن لأن غُزرها انقطع، وهي صفة حسنة لها.
- ⁶ ديوان الأفوه الأودي: ص79.
- ⁷ انظر: السيوطي، المزهري، ح2، ص477 شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، سنة 1406هـ سنة 1986م وانظر: موسوعة شعراء العصر الجاهلي ط1، سنة 2001م.
- ⁸ تاريخ الأدب العربي، ريجيس بلاشير، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، ط2، 1984م، ص313.
- ⁹ جلال الدين السيوطي، المزهري، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، 404/2.
- ¹⁰ سمط اللآلئ، عبد الله بن عبد العزيز البكري، تحقيق عبد العزيز الميمني، طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، عام 1934م، 365/1، 844/2.
- ¹¹ لويس شيخو، شعراء النصرانية قبل الإسلام، طبع مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ص74.
- ¹² الأعلام للزركلي، مرجع سابق، 206/3-207.
- ¹³ انظر الأصفهاني، الأغاني، ج12، وانظر عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، وتنتظر: د. محمد التونجي، ديوان الأفوه الأودي.
- ¹⁴ ديوان الأفوه: ص67.
- ¹⁵ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: إحسان عباس وآخرين، دارصادر، بيروت، ط3، 2008، 119/12.
- ¹⁶ ديوان الأفوه: ص64
- ¹⁷ ديوان الأفوه: ص53
- ¹⁸ ديوان الأفوه: ص100
- ¹⁹ ديوان الأفوه: ص90
- ²⁰ ديوان الأفوه: ص72
- ²¹ ديوان الأفوه: ص76
- ²² ديوان الأفوه: ص78

²³ ديوان الأفوه: ص 62

²⁴ ديوان الأفوه: ص 89

²⁵ ديوان الأفوه: ص 56

²⁶ ديوان الأفوه: ص 101

²⁷ ديوان الأفوه: ص 89

²⁸ ديوان الأفوه: ص 71

²⁹ ديوان الأفوه: ص 83

³⁰ ديوان الأفوه: ص 98

³¹ ديوان الأفوه: ص 86.

قائمة المصادر والمراجع:

- (1) الأفوه الأودي، ديوانه، شرح وتحقيق: محمد التونجي، الطبعة الأولى، 1998م، دار صادر للطباعة والنشر؛ بيروت، لبنان..
- (1) محمود محمد شاكر، قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر، ط 1، 1997ع، ص 92.
- (2) عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ص 133، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 5، سنة 1984م.
- (3) يوسف أسعد، معجم الأسماء المستعارة وأصحابها، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1982م.
- (4) معجم ألقاب الشعراء، (حرف الهمزة)، سامي مكي العاني، ط 1، 1982م، مكتبة الفلاح للطباعة والنشر والتوزيع، دبي: دولة الإمارات العربية المتحدة، ص 29
- (5) السيوطي، المزهري، ح 2، ص 477 شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، سنة 1406هـ، سنة 1986م
- (6) موسوعة شعراء العصر الجاهلي ط 1، سنة 2001م.
- (7) ريجيس بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق، ط 2، 1984م، ص 313.
- (8) جلال الدين السيوطي، المزهري، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998م، 404/2.

- (9) عبد الله بن عبد العزيز البكري، سمط اللآئ، تحقيق عبد العزيز الميمني، طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، عام 1934م، 365/1، 844/2.
- (10) لويس شيخو، شعراء النصرانية قبل الإسلام، طبع مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ص74.
- (11) الأعلام للزركلي، مرجع سابق، 206/3 - 207.
- (12) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: إحسان عباس وآخرين، دارصادر، بيروت، ط 3، 2008م.